القضايا النحوية والصرفية واللّغوية وأوجه القراءات في سورة فاتحة الكتاب

أ/ مصطفى علي مسعود شاماكه ـ كلية التربية بالعجيلات
جامعة الزاوية

المقدمة :

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين،

أما بعد:

فقد رأيت أن أتناول هذه السورة الكريمة بالبحث والدراسة نظراً لما تضمنته من مسائل نحوية وصرفية ولغوية. وتعدد أوجه القراءات، إضافة إلى ما اشتملت عليه من قضايا العقيدة وكيفية العبادة والاعتقاد بالجزاء والحساب، والإيمان بصفات الله تعالى، وأنه لا عبادة إلا لله ، ولا استعانة إلا به، مع الالتزام بالسير في الطريق المستقيم الذي أوضحه الله تعالى لعباده، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين.

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

﴿ (1)الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرّحْمَنِ الرّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ (4) إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضّالّينَ (7)﴾

ولهذه السورة عدة أسماء [1] حيث ذكروا أن الفاتحة تُسمى: الحمد، وفاتحة الكتاب، وأم الكتاب، والسبع المثاني والواقية، والكافية والشفاء والشافية، والرُّقية، والكنز والأساس، والنور،وسورة الصلاة وسورة المناجاة.

وجاء في صحيح البخاري قوله: ((وسُّميت أم الكتاب أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة)) [2]

وقال الزمخشري [3] فيما يتعلق بنزولها بأنها: مكية، وقيل مكية ومدنية، لأنها نزلت بمكة مرة، وبالمدينة أُخرى.

وذكر الصابوني [4] أن فاتحة الكتاب مكية وآياتها سبع بالإجماع.

وقال الزركشي: ((وأمَّا ما اختلفوا فيه ففاتحة الكتاب، قال ابن عبّاس، والضحاك، ومقاتل، وعطاء: إنَّها مكّية، وقال مجاهد: مدنية)) [5]

(بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ)

لقد اتفق النحاة [6] على أن (بِسْمِ اللّهِ) بعض جملة ولكنهم اختلفوا في التقدير، فقال البصريون: الجملة اسمية أي: ابتدائي باسم الله، وقال الكوفيون: الجملة فعلية وموضعها نصب، أي: بدأت ووافقهم الزمخشري [7] في تقدير الجملة الفعلية، ولكن خالفهم في موضعين: أحدهما: أنَّهم يقدِّرون الفعل مقدما، وهو يقدره مؤخراً، فالباء عنده تتعلق بمحذوف تقديره: بسم الله أقرا أو اتلو، لأن الذي يتلو التسمية مقروء، كما أن المسافر إذا حلّ أو ارتحل، فقال بسم الله والبركات، كان المعنى: بسم الله أحل وباسم الله ارتحل، وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله.

(بِسْمِ اللّهِ) كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له، والثاني: أنهم يُقدرونه فعل البداية، وهو يقدره في كل موضع بحسبه، فإذا قال الذابح: بسم الله، كان التقدير:بسم الله أذبح، وإذا قال القارئ: بسم الله، فالتقدير: بسم الله أقرأ.

وذكر ابن حمدون [8] في حاشيته أن (الباء) طُوِّلت في (بِسْمِ اللّهِ) للتفخيم والتعظيم لأنها مبتدأ كتاب الله العظيم.

وقال ابن خالويه [9] : ((إنْ سأل سائل فقال: لِمَ كُسرت الباء في (بِسْمِ اللّهِ)؟ فالجواب في ذلك أنهم لما وجدوا الباء حرفاً واحداً وعملُها الجرّ ألزموها حركة عملها" وأجمع القُرّاء [10] وكُتَّاب المصاحف على حذف الألف من (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في فواتح الكتاب وإثباتهم الألف في قوله (**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**) [11] .

وجاء في حاشية ابن حمدون [12] قوله: ((و(اسم) مشتق عند البصريين من السمو، وهو العلو والارتفاع، وأصله حينئذ (سِمو)- بكسر السين وضمها مع سكون الميم -، ولما كثر استعماله في كلام العرب حذفوا واوه تخفيفاً كيد ودم، فنقلوا سكون الميم إلى السين قبلها لأجل أن نتوصل إلى الإتيان بهمزة الوصل عوضاً عن لام الكلمة المحذوفة، وإن كانت في غير محله، وردّ هذا بأن المعهود عند أهل التصريف نقل الحركة إلى محل السكون لا العكس، وقالوا: الصواب أن حركة السين نقلت إلى الميم وبقيت السين ساكنة فأُتِي بهمزة الوصل، وقال الكوفيون: إنه مشتق من السمة وهي العلامة وأصله حينئذٍ (وسم) فحذفوا الواو لكثرة الاستعمال كما حذفوها في (عدة) إذ أصله (وعد) فبقيت السين ساكنة فأُتِي بهمزة الوصل للابتداء بالساكن عوضاً عن المحذوف.

وما قاله البصريون أرجح لفظاً ومتعين معنى، أمّا اللفظ فإنهم صغروا اسماً على (سُمِيّ)لا على (وُسَيْم)، وجمعوه على (أسماء) لا على (أوسام) و الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها، وأصل (سُمِيّ) (سُمَيْو))).

و(الله) [13] علم لا يطلق إلاّ على المعبود وهو مرتجل غير مشتق عند الأكثرين، وقيل مشتق ومادته (لام- ياء- هاء)من لاه يليه،أي ارتفع، وقيل من (لام- واو- هاء) من لاه يلوه لوها، أي احتجب أو استتر، وأصله على الأول: (لِيَه)- بفتح الياء، وعلى الثاني (لُوَه)- بفتح الواو، قلبت عينه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وأُتِي بـ(أل) وأدغمت اللام في اللام فصار (الله).

- (**رَبِّ الْعَالَمِينَ**)

قال ابن خالويه [14] : ((الربّ في اللُّغة السيِّد والمالك وشُدِّدت الباء لأنهما باءان من رَبَبْت، ورَبٌّ اسم مشترك يقال: رَبُّ الضَّيْعَة، ورَبُّ الدار، ولا يقال الربُّ بالألف واللام إلا لله تعالى)).

وقال ابن حمدون [15] : (((العالَمِين) اسم جمع وليس جمعاً – بفتح اللام، لأن لفظ العالمين خاص بالعقلاء، وعالم اسم لكل ما سوى الله تعالى فهو عام في العقلاء وغيرهم وهو ملحق بجمع المذكر السالم)).

و (**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) [16] صفتان مشبهتان من (رَحُم) بالضم- بعد نقله من (رَحِم) المكسور؛ لأن (رَحِم) متعدّ، وهي لا تصاغ إلاّ من الفعل اللازم، وقُدِّم الرحمن لأنه على صيغة المثنى فكأن الصيغة كررت فيه مرتين، وأنه صار كالعلم إذ لا يوصف به غيره تعالى، وقيل: الرحمن الرحيم من صيغ المبالغة فالرحمن على وزن (فعلان) والرحيم على وزن (فعيل)لذلك قيل: الرحمن أبلغ من الرحيم.

وقال أبوحيّان [17] : (((الرحمن) فعلان من الرحمة وأصل بنائه من اللازم من المبالغة، وشدّ من المتعدي، وهو وصف لم يستعمل في غير الله، ووصف غير الله به من تعنت الملحدين، و(الرحيم) فعيل محوّل من فاعل للمبالغة)).

- (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) [18] جمع يوم: أيَّام والأصل: أيْوَام، قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، (**الدِّينِ**) الحساب والجزاء، فإن سأل سائلٌ فقال: الله تبارك وتعالى مَلِكُ الدنيا والآخرة فلِمَ قال: (**مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) ؟ فالجواب في ذلك إن الدنيا ملّكها الله أقواماً فنُسب الملكُ إليهم، فلماً كانت الدنيا يَمْلِكُها غيرُه بالنِّسبة لا على الحقيقة، والآخرة لا يَمْلِكُها إلاّ الله تبارك وتعالى، ولا مالك في ذلك اليوم غيرُه فخُصَّ لذلك.

- **(إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ)** [19]

العبادة هي أقصى الخضوع والتذلل، ولذلك لم تستعمل إلاّ في الخضوع لله، والاستعانة: طلب العون، والطلب أحد معاني صيغة استفعل، وأصل **(نَسْتَعِينُ)** نَسْتَعْوِن بوزن نَسْتَفْعِل استثقلت الكسرة على الواو فنقلب إلى العين، إعلال بالنقل- ثم قلبت ياءً، لسكونها وانكسار ماقبلها.

- **(اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** [20]

السّراط بالسين هو الأصل، لأنه من سرط الشيء إذا بلعه، وسمي الطريق سراطاً لجريان الناس فيه، والصِّراط من قلب السين صاداً لأجل الطاء بقوله (مصيطر) [21] في (مسيطر)، وأصل المستقيم: مُسْتَقْوِم، نقلت كسرة الواو إلى الساكن قبلها، ثم قلبت ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها و مُستفعل هنا بمعنى: فعيل أي السِّراط القويم، ويجوز أن يكون بمعنى القائم، أي: الثابت.

- **(صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضّالِّين)** [22]

قيل المقصود بالغضوب عليهم والضالين عام في كل من غُضِب عليه وضلّ، وقيل المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى، وتقدم اليهود لأنهم كانوا أسبق من النصارى، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة و **(الْمَغْضُوبِ)** اسم مفعول من الفعل غَضِب باب فرح، ووزنه مفعول. و**(الضّالِّين)** جمع الضال اسم فاعل من ضلّ يضلّ باب ضرب وزنه فاعل، وأدغمت عين الكلمة في لامه لأنهما الحرف ذاته.

وذكر الثعالبي [23]: أن ((لا)) من الحروف الزوائد كتتمة الكلام والمعنى إلغاؤها، أي: والضالين.

و(**عَلَيْهِمُ**) و (**عَلَيْهِم**) وهما لغتان لكل لغة مذهب في العربية و (غير) مفرد مذكر دائماً ويلزم الإضافة لفظاً أو معنى، وإدخال (ال) عليه خطأ، وهو لا يتعرف إذا أضيف إلى معرفة، وإذا أريد به المؤنث جاز تذكير الفعل حملاً على اللفظ وتأنيثه حملاً على المعنى.

- وُجُوه القراءات :

- (الْحمدُلِله)

قرأ الجمهور [24] (الْحمدُلِله) بضم دال الحمد، ورُفِعَ الحمد بالابتداء و (لله) الخبر، ويقرأ (الْحَمْدَ) بالنصب [25] على أنه مصدر فعل محذوف، أحمدُ الْحمدَ، والرفع أمكن في المعنى و لهذا أجمع عليه القرّاء السبعة لأن قراءة الرفع تدل على ثبوت الحمد و استقراره لله تعالى، و أمّا من قرأ بكسر الدال [26] (الْحمدِلِله) اتباعاً لكسرة اللام وهو ضعيف في الآية، لأن فيه اتباع الإعراب البناء وفي ذلك إبطال للإعراب.

ووجهه أنها حركة اتباع لكسرة اللام بعدها وهي لغة لبعض العرب يتبعون الأول والثاني لأجل التجانس.

وقرئت [27] (الْحمدُلُله) بضم اللام لإتباعها الدال ، قال الفرّاء [28] : ((وأما من خفض الدال من (الحمدِ) فإنه قال: هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقُل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمّة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمّة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل إبل، فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم، وأمّا الذين رفعوا اللام فإنهم أرادوا المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان مثل: الحُلُم والعُقُب))

وقال ابن خالويه [29] : ((هذه الوجوه الأربعة في (الحمد) وإن كانت سائغة في العربية فإني سمعت ابن مُجاهدٍ يقول: لا يُقْرَأ بشيء من ذلك إلا بما عليه الناس في كل مِصرٍ الحمدُ لِلهِ، بضم الدال وكسر اللام)).

قرأ الجمهور [30] (**رَبِّ الْعَالَمِينَ**) بكسر الباء، نعت لِله أو بدل منه، وقُرئ [31] بالنصب على المدح على إضمار أعنى، وقيل على النداء، وقرئ بالرفع على إضمار هو، وقال أبو حيّان [32] : ((أن قراءة النصب فصيحة لولا خفض الصفات بعدها وضعفت إذ ذاك، على أن الأهوازى حكى في قراءة زيد بن علي أنه قرأ (**رَبِّ الْعَالَمِينَ**)،(**الرّحْمَنَ الرّحِيمَ**) بنصب الثلاثة فلا ضعف إذ ذاك وإنما تضعف قراءة نصب ربّ، وخفض الصفات بعدها لأنهم نصوا أنه لا اتباع بعد القطع في النعوت)).

(الرّحْمَنِ الرّحِيمِ)

قرأ الجمهور [33] بالخفض، ونصبها أبو العالية، وابن السَّميفع، وعيسى بن عمرو، ورفعها أبو رزين العقيلي، والربيع ين خيثم، وأبو عمران الجوني، فالخفض على النعت، وقيل في الخفض إنه بدل أو عطف بيان، والنصب والرفع للقطع.

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّين)

قرأ [34] عاصم والكسائي (مَالك)على وزن فاعل بالخفض وقرأ الباقون (مَلِكِ) بغير ألف فحجَّةُ مَن قرأ (مالك) قال: إنَّ الملك داخل تحت المالك وحجَّةُ مَن قرأ (مَلِكِ) إنّ ملكاً أخصّ من مالك وأمدح، لأنه قد يكون المالِكُ غير ملك ولا يكون المَلِكُ إلاَّ مالكاً.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة [35]: ((قد أكثر المصنِّفون في القراءات والتفاسير بين قراءة (مَلِكِ) و (مَالِكِ) حتى أنَّ بعضهم يبالغ إلى حدٍ يكاد يسُقِط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين واتصاف الربّ بهما، ثم قال: حتى إني أصل بهذه في ركعة وبهذه في ركعة)).

- وقرأ [36] أبو حنيفة –رضي الله عنه- ((**مَلَكَ يَوْمَ الدِّين**)) بلفظ الفعل ونصب اليوم، وقرأ أبو هُرَيْرة –رضي الله عنه- ((**مَالِكَ يَوْمِ الدِّين**)) على النداء المضاف أي : يا مالكَ يوم الدين، وقرأ أبو حَيْوة: ((**مَلِكُ يَوْمِ الدِّين**))، ويجوز في النحو: ((**مَالِكٌ يَوْمَ الدِّين**)) بالرفع والتنوين على معنى: هو مَالِكٌ، ولا يقرأ به، لأنَّ القراءة سُنة ولا تحمل على قياس العربية.

(إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ)

(إِيّاكَ) ضمير منفصل في محل نصب مفعول به، وتقدم المفعول لقصد الاختصاص عند الزمخشري، ولقصد الاعتناء والاهتمام بالمفعول عند أبي حيّان [37].

وقرأ الجمهور [38] **(إِيّاكَ)** بكسر الهمزة وتشديد الياء، وبفتح الهمزة وتشديد الياء بها قرأ الفضل الرقاشي، وبكسر الهمزة وتخفيف الياء،وبها قرأ عمرو بن فائد عن أُبيّ، وبإبدال الهمزة المكسورة هاء، وبإبدال الهمزة المفتوحة هاء، (هِيَّاك نعبد وهِيَّاك نستعين) وبذلك قرأ ابن السور الغنوى، وفتح نون (نَستَعِين) قرأ بها الجمهور وهي لغة الحجاز وهي الفصحى، وقرأ عبيد بن عمير الليثي، وابن حبيش، بكسر النون، وهي لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة.

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

قرأ ابن كثير [39] (السِّراط) بالسين على أصل الكلمة، من قولهم : سَرَطْتُ الشيءَ أسْرُطُه، والسرط: اللقم ومنه سُمِّي الطريق لقماً، وإبدال سينه صاداً هي الفصحى وهي لغة قريش، وبها قرأ الجمهور، وبها كتبت في الإمام، وإنما قلبوا السين صاداً ليوافق لفظه الطاء في الإطباق، ومن قرأ [40] بالزاى، قال: الزاى إلى الطاء أقرب لأنه حرف مجهور مثل الطاء.

وهدى يتعدى إلى مفعوله بنفسه فأمَّا تعديه إلى مفعول آخر، فقد جاء متعدياً إليه بنفسه ومنه هذه الآية، وقد جاء متعدياً بإلي كقوله تعالى (قُل إنَّنيّ هداني ربيّ إلى صراط مستقيم) [40]، وجاء متعدياً باللام ومنه قوله تعالى (وقالوا الحمدلله الذي هدانا لهذه) [41] فالمفعول الاول لـ (هدى) هو ضمير الجماعة (نا) قي اهدنا، والصراط هو المفعول الثاني، والمستقيم صفة للصراط.

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّين)

وقرأ حمزة [42] وحده **(عَلَيْهُمْ)** بضم الهاء وسكون الميم وكذلك **(إليهُمْ)** و(لديهُمْ) في جميع القرآن، وهي لغة رسول الله ﷺ وإنما ضُمَّ الهاءُ في أصل الكلمة [43] قبل أن تتصل بها (على) كما تقول هُمْ ،فلما أدخلت (على) فقلت **(عَلَيْهُم)** بقيت على حالها، وقرأ ابن كثير **(عَلَيْهُمُوا)** بالواو على أصل الكلمة؛ لأن الواو علم الجمع، كما كانت الألف علم التثنيه إذا قلت: عليهما، ومثله قاما وقاموا، وقرأ الجمهور **(عَلَيْهِمْ)** بكسر الهاء وسكون الميم، وحذف الواو، فحُجَّه من حذف قال: لأن الواو متطرفة فحذفتها إذا كنت مستغنياً عنها؛ لأن الألف دلت على التثنية، ولا ميم في الواحد إذا قلت: عليه، فلمَّا لزمت الميم الجمع حذفتها اختصاراً.

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ)

يُقْرأ بالجر وهي قراءة الجمهور وفيه ثلاثة أوجه [44]: أحدها أنه بدل من الذين، والثاني: أنه بدل من الهاء والميم في عليهم، والثالث: أنه صفة للذين، فإن قلت الذين معرفة، وغير اسم مبهم لا يتعرّف بالإضافة، والنكرة لا يكون صفة للمعرفة ففيه جوابان أحدهما أن (غير) وقعت بين متضادين وكانا معرفتين تعرفت بالإضافة، لأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في (غير) إذن إبهام، والثاني:أن (الذين) قريب من النكرة، لأنه لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم، وغير المغضوب عليهم قريبة من المعرفة بالتخصيص الحاصل لها بالإضافة، فكل واحد منهما فيه إبهام من وجه، واختصاص من وجه.

- وقرئ [45] (غير) بالنصب على الحال وهو الوجه ، وصاحب الحال الضمير في (عليهم) والعامل (أنعمت) وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب وعلى، وعبد الله بن الزبير وابن مسعود، ورويت عن ابن كثير.

(وَلَا الضَّالِّين) [46]

(لا) زائدة عند البصريين للتوكيد، وعند الكوفيين هي بمعنى غير، وذكر ابن فارس أنَّ (لا) دخلت ها هنا مُزيلة لتوهّم مُتَوَهِّم أن الضالين هم المغضوب عليهم،

والعرب تنعت بالواو يقولون: مررت بالظريف والعاقل، فدخلت (لا) مُزيلة لهذا التوهم ومُعْلِمَةً أن الضالين هم غير المغضوب عليهم.

وشُدّدت اللام في (الضالّين) لأنهما لامان وأدغمت الأولى في الثانية، ومُدّت الألف من (الضآلّين) لالتقاءِ الساكنين نحو، دآبّة وشآبَّة، والجمهور على ترك الهمزة في (الضآلّين) وقرأ أيُّوب السِخْتِيانيّ (الضأَلِّينَ) بهمزة مفتوحة، فقيل لأيُّوب:لِمَ همزت؟ فقال: إن المدة التي مددتموها بين الساكنين هي هذه الهمزة التي همزت، وذكر ابن جنى ((أن الألف متى حُرّكت انقلبت همزة وذلك لضعفها عن تحمل الحركة)) [47]

الأحكام الشرعية

ذكر الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة [48] نقلا من مخطوط (التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعُلوم التنزيل) لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي ت 440 ﻫ ، وهو من الأئمة العلماء في القراءات والعربية والتفسير، في قوله الحمد لله، أجمع القراء على التعوذ في أولها سوى حمزة فإنه أسره وروى المسيبي عن أهل المدينة أنهم كانوا يفتتحون القراءة بالبسملة، وأجمعوا عن البسملة في أولها.

واختلفوا في الفصل بين السورتين بها فرُوِي عن حمزة وورش عن نافع تركه، وعن أبي عمرو الفصل بها، وعنه الفصل بسكته وعنه تركهما، ولم يأتِ عن ابن عامر فصل ولا وصل، وقد أخذ له بالفصل بالبسملة وبالوصل، والقرّاء يفصلون بالبسملة

وأمَّا القرّاء السبعة فيثبتون (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول كل سورة إلاَّ في براءة ماخلا أبا عمرو وحمزة فإنهما كانا لا يَفصِلان بين السورتين.

وقال أبو حيّان [49] : ((والإجماع على أنها سبع آيات، وعدّ الجمهور المكيون والكوفيون (بسم الله الرحمن الرحيم) آية ولم يعدّوا (أنعمت عليهم) وسائر العادين، ومنهم كثير من قرّاء مكة والكوفة لم يعدوها آية، وعدوا (صراط الذين أنعمت عليهم) آية، وشدَّ عمرو بن عبيد فجعل آية (إيَّاك نعبد) فهي على عدّه ثمان آيات، وشدّ حسين الجعفي فزعم أنها ست آيات)).

وقال ابن عطية [50] : ((وقول الله تعالى (ولقد أتيناك سبعاً من المثاني) [51] هو الفصل في ذلك، ولم يختلفوا في أن البسملة في أول كل سورة ليست آية، وشذّ ابن مبارك فقال: (إنها آية في كل سورة)).

ولقد اختلف العلماء في البسملة على ثلاثة أقوال [52]، الاول: ليست بآية لا من الفاتحة ولا من غيرها وهو قول مالك، وابن مسعود والأحناف، وقرّاء المدينة والبصرة والشام وفقائها، ولذلك لا يجهرون بها في الصلاة.

الثاني: أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وهو قول عبدالله ابن مبارك وابن عباس وابن عمر الشافعي وقرّاء مكة والكوفة وفقهائهما ولذلك يجهرون بها في الصلاة.

الثالث: أنها آية من سورة الفاتحة وليست آية في غير ذلك.

وقال ابن خالويه [53]: ((والذي صحّ عندي فمذهب الشافعي – رحمه الله، وإليه أذهب))

ولذلك قال الزركشي [54]: ((ولابد من قراءة البسملة أول كل سورة تحرّزاً من مذهب الشافعي، وإلاّ كان قارئاً بعض السور لا جميعها، فإن قرأ من أثنائها استحب له البسملة أيضاً نصّ عليه الشافعي رحمه الله، ووقف رسول الله ﷺ [55] في قراءة الفاتحة على كل آية وإن لم يتم المعنى.

خاتمة البحث

هذا البحث لغوي تفسيري يبيّن صلة اللغة بالقرآن الكريم وتفسيره وقراءاته، فالقرآن الكريم هو الأصل الأول للغة العربية ولسانها المبين.

وبعد أن أنهيت هذا البحث العلمي، والذي تناولت فيه القضايا اللغوية والنحوية والصرفية وأوجه القراءات، وبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بسورة الفاتحة، كان من الجدير تسجيل أهم النتائج البحثية التي توصلت إليها والتي من بينها:

- هذه السورة الكريمة لها عدة أسماء، اشتهر منها:

فاتحة الكتاب؛ لافتتاح الكتاب العزيز بها، و لأنها أول القرآن الكريم في الترتيب المعهود لا في النزول، والسبع المثانى؛ لأنها تثنى في الصلاة، ومنها الشفاء، والواقية، والكافية، والرّقية، والأساس.

- فاتحة الكتاب هي مكيّة في قول الأكثرين، وهي سبع آيات إلاما شدّ، وتسع وعشرون كلمة، ومائة واثنان وأربعون حرفاً.

- خلت هذه السورة من سبعة أحرف وهي: الثاء، والجيم، والخاء، والزاي، والشين، والظاء، والفاء.

- تنوّع وتعدد المسائل اللغوية، والنحوية، والصرفية، والقراءات المتواترة وغير المتواترة، والتي لها ما يسندها من لغات العرب.

- في هذه السورة الكريمة تجلّت الفصاحة وتنوعت أساليب البلاغة ففيها حُسن الافتتاح، وبراعة المطلع؛ لأن أوّلها (بسم الله الرحمن الرحيم) على قول من عدّها آية منها، وإن كان أولها (الحمد) فحمد الله والثناء عليه ووصفه بما له من الصفات العليا، أحسن ما يُفتتح به الكلام.

- سورة الفاتحة من أوّلها إلى قوله تعالى (ملك يوم الدين) أسلوب غيبة، ثمّ التفت بقوله: (إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين)؛ لأنه لمّا ذكر الجدير بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العِظام، تعلّق العلم بمعلوم عظيم الشأن مستحق للثناء؛ لذلك خصّ بالعبادة، لأن العبادة أقصى الخضوع والتذلل، ولذلك لم تستعمل إلاّ في الخضوع لله وحده، وقُدّمت العبادة على الاستعانة؛ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

- اللام في قوله (لله) .تفيد الاختصاص، إذ دلت على أن جميع المحامد مختصة بالله تعالى.

الهوامش

(1) ينظر البحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، دار الفكر بيروت,1412 هـ - 1992م, 1/55.

(2) صحيح البخاري، ضبطه ورقم أحاديثه وصنع فهارسه محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار التقوى للتراث، الطبعة الأولى,1421 هـ - 2001م, 1/99 .

(3) الكشاف للزمخشري، تحقيق: الشيخ أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى,1418 هـ - 1998م, 1/99 .

(4) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني، عالم الكتاب، الطبعة الأولى,1406 هـ - 1986م, 1/13 .

(5) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: (محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار الجبل، بيروت- لبنان,1408 هـ - 1988م, 1/194 .

(6) ينظر اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، محمد سعيد رمضان ، د .محمد المتولي الدسوقي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى,1419 هـ - 1998م, 1/118 .

(7) ينظر الكشاف, 1/100 .

(8) ينظر حاشية ابن حمدون على شرح المكّودي، دار الفكر, 2008م, 1/7 .

(9) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، منشورات دار الحكمة، دمشق,ص 16.

(10) ينظر معاني القرآن للفرّاء، تحقيق، أحمد يوسف نجاتي، ومحمد على النجار، دار السرور، بيروت لبنان , 1/5 – 6 .

(11) سورة الحاقة: 69/52 .

(12) حاشية ابن حمدون, 1/7 , وينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الديان للتراث، القاهرة، , 1/88 .

(13) ينظر البحر المحيط 1/28 – 29 ، وحاشية ابن حمدون 1/8 .

(14) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 21.

(15) حاشية ابن حمدون 1/10 ، وينظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 22.

(16) ينظر المحرر الوجيز (تفسير الكتاب العزيز) لابن عطيّة الأندلسي، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ,1422 هـ - 2001م, 1/63 وحاشية ابن حمدون 1/8 . .

(17) البحر المحيط 1/28 – 29 .

(18) ينظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 24، وينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، الطبعة الثانية 1393 هـ - 1973م القاهرة ص 453.

(19) ينظر الكشاف للزمخشري 1/118، والبحر المحيط 1/41، وإملاءها منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري، دار الشام للتراث، 1/7.

(20) ينظر إملاء ما منّ الرحمن للعكبري 1/7 ،والكشاف للزمخشري 1/121.

(21) سورة الغاشية: 88/22.

(22) ينظر البحر المحيط 1/53 ، والبرهان في علوم القرآن 3/240 ، ومعاني القرآن للفرّاء 1/5 وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري 1/8 ، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، تصنيف محمود صافي، دار الرشيد، دمشق – بيروت، الطبعة الرابعة، 1418 هـ - 1998م ، 1/29.

(23) ينظر فقه اللغة وسر العربية للثعالبي قرأه وقدمه وعلّق عليه خالد فهمي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1998م ، 2/595.

(24) ينظر البحر المحيط 1/33 – 34، ومعاني القرآن للفرّاء 1/3 والمُيسر في القراءات الأربع عشرة، تأليف محمد فهد خاروف، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000م، ص 1.

(25) وهي قراءة هارون العتكي، ورُؤْبة، وسفيان بن عُيَيْنه، ينظر والبحر المحيط 1/34.

(26) وهي قراءة الحسن البصري، وزيد بن علي، ينظر المحتسب لابن جني، تحقيق، علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار ، و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1415 هـ - 1994م، 1/37 والبحر المحيط 1/33 والكشاف للزمخشري 1/113.

(27) وهي قراءة إبراهيم بن أبي عبلة ينظر المحتسب 1/37 ، والكشاف للزمخشري 1/113 ، والبحر المحيط 1/33.

(28) معاني القرآن للفرّاء 1/3.

(29) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 19.

(30) ينظر تفسير آيات الأحكام للصابوني $43/1$.

(31) هي قراءة زيد بن علي، ينظر البحر المحيط $34/1$ والكشاف للزمخشري $114/1$، وإملاء ما منّ به الرحمن للعكبري $7/1$.

(32) البحر المحيط $34/1$.

(33) المصدر السابق $35/1$.

(34) ينظر إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن بن سليمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 1413 هـ - 1992م، $41/1$ والبحر المحيط $36/1$.

(35) البرهان في علوم القرآن للزركشي $340/1$.

(36) ينظر البحر المحيط $36/1$ والكشاف للزخشري $115/1$، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه $48/1 - 49$.

(37) ينظر البحر المحيط $42/1$، والكشاف للزمخشري $117/1$.

(38) ينظر البحر المحيط $41/1 - 42$ وشرح المُلوكي في التصريف صنعه ابن يعيش، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة دار الاوزاعي بالدوحة الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988م ص 282 والكشاف للزمخشري $120/1$.

(39) ينظر إعراب القرآن وعلل القراءات للباقولي الملقب بـ(جامع العلوم النحوي)، تحقيق الدكتور: عبد القادر عبد الرحمن السعْدي، دار عمار، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2001م, $168/1$، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه $49/1$، والبحر المحيط $45/1$.

(40) سورة الأنعام: $161/6$.

(41) سورة الأعراف: $43/7$.

(42) ينظر إعراب القرآن وعلل القراءات للباقولي $169/1$ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه $50/1$.

(43) ينظر الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة $195/4$ و 196 ، والمحتسب لابن جني $43/1$.

(44) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري $8/1$ والكشاف للزمخشري $122/1$.

(45) ينظر البحر المحيط $50/1$ و 51 ، والكشاف $123/1$.

(46) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري $8/1$ ، والصاحبي لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية ص 262، والبحر المحيط $52/1$ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه $52/1$.

(47) ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية $259/2$.

(48) ينظر النحو وكتب التفسير الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا، الطبعة الثانية 1984م, $663/1$ ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 15.

(49) البحر المحيط $55/1$ وينظر اللباب في علوم الكتاب $159/1 - 160$.

(50) المحرّر الوجيز $60/1 - 61$.

(51) سورة الحِجْر: $87/15$.

(52) ينظر البحر المحيط $55/1$ ، والكشاف للزمخشري $99/1$ وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 15 وتفسير القرطبي $81/1$.

(53) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص 15.

(54) البرهان في علوم القرآن للزركشي $460/1$.

(55) المصدر السابق $468/1$.